

إختطاف الطلبة وقتل المدرسين والفوضى في الصفوف تجعل التعليم في العاصمة بغداد قريباً من الانهيار

(منظمة تغطية الحرب والسلام)

ان العنف الطائفي يؤدي الى شلل النظام التربوي في العاصمة بغداد، حسبما أفاد المدرسون والتربويون و اباء الطلاب. وبينما تستخدم الجماعات المسلحة أساليب العنف لعرقلة الحياة في بغداد، فان غياب الأمن والنظام لا يتحدى الحكومة فحسب وإنما يهدد استمرار التعليم في المدارس.

وأصبح اختطاف الطلاب الميسورين أمراً اعتيادياً وكذلك قتل الأساتذة والمدرسين، مما يضطر الكثير من الأهالي اصطحاب أولادهم الى المدارس والبقاء معهم حتى عودتهم للبيت سالمين. ان هذه الفوضى تؤثر سلباً في كل المستويات، إذ يسيء الطلاب احترام الاساتذة ويتغيبون عن الدوام، ويرفض الكثير من المدرسين الدوام في المدارس لاسيما بعد أن أعلنت وزارة التربية عن مقتل ما يقارب 600 تدريسيًا في العام الدراسي 2006-2007. يقول علي عبد الحسين، 35 عاماً، ان "النظام التعليمي تحول الى إضحوكة". عبدالحسين تم تهجيريه من مسكنه وسحب أولاده من المدارس بسبب أعمال العنف، ويضيف "وزارة التربية عاجزة عن توفير التعليم أو الحماية لأبنائنا".

يؤدي تهجير عوائل الطلاب وتنقلهم المستمر وتقطع دوامهم الى اضطراب عمل المؤسسات التعليمية، وتتكدس في مديرتي تعليم الكرخ والرصافة الاف الطلبات لنقل الطلاب الى مناطق أكثر أمناً أو تأجيل العام الدراسي لهذا الطالب أو ذاك. وتتنزايد التفجيرات والعبوات الناسفة في مناطق مختلفة من الأعظمية شمالاً حتى الدورة جنوباً، مروراً بحي الخضراء وحي العامل، مما أدى الى إغلاق المدارس في هذه المناطق لشهور متواصلة. يقول المتحدث باسم وزارة التربية، فلاح القرشي، ان "الرهابيين والمتطرفين وعناصر من النظام السابق تستهدف النظام التعليمي في بغداد والعراق"، ويضيف "يحاولون إعاقة التعليم وزرع الخوف في الطلاب والكادر التدريسي لإيقاف الدوام".

يشنكي المدرسون انهم غير قادرين على إكمال المنهاج أو التركيز على التدريس. ويقولون ان ضعف التدريس سيكون له مردود سلبي في المدى البعيد على الوطن ككل. الطلاب غير قادرين على إكمال المناهج بسبب تقطع الدراسة والغيابات، وتشغلهم سلامتهم أكثر من التركيز على الدروس.

يقول مالك سليم، 27 عاماً، المدرس في مدرسة الشهباء الابتدائية جنوبي بغداد "غالباً ما نغلق أبواب المدرسة بعد درس أو درسين حينما نحس بالخطر على الطلاب".

وزارة التربية غير قادرة على حماية الطلاب والكادر التدريسي، وبالرغم من قرار تنسيب كوادر من وزارة الداخلية لحماية بعض المدارس الا ان هناك إجماع على فشل العام الدراسي المنصرم في بغداد.

تزرخ بغداد بأكثر من 21,000 مدرسة، ويشير ممثل منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) روجر رايت بأن النظام التدريسي في العراق كان يوماً الأفضل في الشرق الأوسط، إلا أن أكثر المدارس أصبحت شبه خراب ينقصها الماء والمرافق الصحية والخدمات بسبب الحروب والحصار في ظل نظام صدام حسين. يونيسيف حددت إعادة تأهيل المدارس هدفاً أساسياً بعد الاطاحة بصدام حسين، إلا أنها اضطرت إلى تحويل جهودها إلى إغاثة المهجرين الذين تزداد أعدادهم كل يوم.

وفي تقرير أطلقته منظمة يونيسيف في نيسان (أبريل) من هذا العام أشارت أن التعليم تأثر بشكل كبير بالصراعات وأن نسبة عالية من الأطفال المهجرين لا تذهب إلى المدرسة. بعض المدارس أجبرت على تبادل الصفوف في وجبتين أو ثلاثة في اليوم الواحد لاستيعاب الأطفال المهجرين. ويضع التقرير أعداد الأطفال الذين لم ينتظموا في المدارس في العام الدراسي 2005-2006 بـ 800,000 طالب، 63% منهم أنثى.

بعض الأطفال يتم تدريسهم في البيت من قبل الأهل أو مدرسين خصوصيين بدلاً من التعرض للمخاطر في الطريق من وإلى المدرسة. تقول هند عبدالله، 45 عاماً، أن ابنتها أكملت عامها المنتهي من البيت من خلال مدرسين خصوصيين. وتضيف أنها عانت لتجد مدرسين أكفاء من نفس المذهب لتدريس ابنتها، فالمدرسون من المذهب الآخر يخافون دخول منطقتها.

مدير ثانوية القدس في حي الجامعة، شامل عبدالله، شبه مدرسته بالقبلة الموقوتة التي قد تنفجر في أية لحظة مما اضطره إلى إغلاقها عدة مرات. المدرسون يرفضون الدوام بسبب عدد من الهجمات أدت إلى إضرار المبنى. وتمتلئ الجدران بكتابات الطلاب التي تشتم كلاً من السنة والشيعية والأكراد. كما أن الكادر التدريسي منقسم فيما بينه. ويقول "كلما اجتمع المدرسون ارتفعت الخلافات السياسية والمذهبية بينهم، مما اضطرني إلى تخصيص غرفتين للأساتذة، واحدة لكل مذهب لكي أخفف من التوتر بينهم". ويضيف أنه تم توجيه عدد من التهديدات له شخصياً، ولا يعرف مصدرها. ويقول أن الأولاد في المدرسة يسيؤون التصرف بسبب العنف في بغداد، وبعضهم لا يعيرون اهتماماً للمدرسين ولا يحترمونهم، وهي تعكس نظرة الشارع للمدرس.

يقول طالب الإعدادية جاسم سعيد، 19 عاماً، أن مدرسته يكثر فيها طلاب متوحشون لا يهتمون إلا بالجنس والتابوهات الاجتماعية. ويضيف أنه وزملاءه لا يترددون في ضرب أو تهديد المدرسين، واعترف أنهم يستخدمون الصفوف الفارغة للتفرج على الأفلام الإباحية والتدخين، وأن مدير المدرسة يعرف ذلك إلا أنه يغض النظر خوفاً من انتقامهم. يشتكي المدرسون لعدم قدرتهم على تأديب الأولاد خوفاً من انتقامهم أو أهاليهم. تؤكد المشرفة التربوية في مديرية الكرخ، ابتسام السلطان، أن المدارس في المناطق الأكثر أمناً مثل المنصور الغنية أو الصدر الفقيرة حافظت على استمرارية الدوام فيها وفرض النظام على الطلاب.